

دور السكن العائلي بفضاءيه الداخلي والخارجي في تشكيل شخصية الطفل - دراسة ميدانية لمدينة تيزي وزو -

رزيقة بوشلقية

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

الملخص:

نظرا للنمو السكاني السريع في البلدان العربية عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص، انعكس سلبا على البيئة السكنية للمدن سواء ما مسّن تهيئتها الداخلية بحيث تحول المسكن الواحد مأوى للعديد من العائلات، أو ما مسّن التهيئة الخارجية نظرا للنقص الذي نلمحه في مساحات اللعب الموجهة لفئة الأطفال وإن وجدت تحولت إلى أغراض أخرى.

فإذا كان المسكن العائلي هو الخلية الأولى لتكوين الطفل تكوينا سليما، وإذا كنّا نعترف بوجود توفير فضاء يموج بالحركة، والألوان وديكور متميز للاستكشاف واللعب، والتعلم... فلماذا يعاني معظم الأطفال في الجزائر من أمراض نفسية عديدة (التّوحد، العنف...) نتيجة الضّغط العائلي؟ وإذا كنّا نعلم أنّ اللعب حق مشروع على الطفل و هو سبيل حيوي للنمو المبكر له، فكيف نحرّمه من هذا الحق المشروط؟ .
تبحث الورقة الإجابات الممكنة على هذه التساؤلات باتخاذ فضاء تيزي وزو مثالا للدراسة والقياس.

الكلمات المفتاحية: العائلة، البيئة السكنية، الطفل، اللعب .

Résumé :

Suit a la croissance démographique dans les pays arabes en général et en Algérie en particulier, se répercute négativement sur l'environnement urbain, soit ce qui touche l'intérieur de l'habitation même qui constitue un abri pour plusieurs familles, soit ce qui touche l'extérieur vu le manque constate dans les espaces de jeux réservés aux enfants lesquels même s'ils existent, ils sont affectés pour d'autres domaines.

Si le domicile familial constitue la première cellule pour une formation saine pour l'enfant, si nous reconnaissons la nécessité de préparer un espace mouvementé avec des couleurs et un décor spécifique caractérisé par la découverte et l'apprentissage, pourquoi en Algérie, la majorité des enfants souffrent des maladies psychologiques comme l'isolement et l'hostilité. A cause de la pression familiale ?.

Si l'on reconnaît que le jeu est un droit légitime de l'enfant et moyen vital pour sa croissance prématurée, alors pourquoi le priver de ce droit ?.

Les feuilles de réponse seront envoyées à la recherche aux questions en l'espace de Tizi-Ouzou un exemple pour l'instruction.

Les mots clés : famille, l'environnement urbain(Familial), l'enfant, jeu.

مقدمة:

تعرف الجزائر كغيرها من بلدان الوطن العربي زيادة في عدد السكان في السنوات الأخيرة، هذا ما دفع الدولة الجزائرية إلى أن تبذل جهودا مضيئة لإنشاء بيئة سكنية تتلاءم مع الحياة الحضرية، بتوفير أهم متطلبات الحياة التي تتناسب مع المعايير المناسبة، حيث عملت الدولة الجزائرية بالتصديق على المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، من بين تلك الحقوق الحق في السكن الملائم، وهو ما تنص عليه المادة 11 من القانون الدولي، إضافة إلى اتفاقية حقوق الطفل. إثر هذه المعاهدة حاولت الهيئات المختصة التقليل من حدة أزمة السكن في الجزائر لتجد نفسها أمام مشاكل أخرى ذات أبعاد متعددة، من بينها مشكل اكتظاظ المسكن، فما مصير الطفل من كل هذا؟ وكيف ينعكس على شخصيته؟.

هذا ما نحاول معالجته من خلال دراستنا هذه؛ حيث نسلط الضوء على بعض المظاهر السلبية التي تخلفها البيئة السكنية بفضاءيهما الداخلي والخارجي على الطفل، فلا يكفي للطفل أن يتكون وينشأ في عائلة تحميه، وسكن يأويه وإنما لابد من خلق علاقة تفاعلية بين الطفل والبيئة السكنية وذلك بتصميم (هندسة معمارية) فضاء معماري يتلاءم مع خصوصياته، بيئة تسمح له بحرية الحركة من جهة وتثير التفكير من جهة أخرى، من خلال توفير المعايير البنائية والجمالية في فضاء يموج بالحركة، والألوان، وديكور متميز للاستكشاف، واللعب، والتجريب، والتعلم...الخ.

1- تحديد المفاهيم الأساسية:

ترتكز دراستنا هذه على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: العائلة، البيئة السكنية، الطفل.

- ما مفهوم العائلة / Famille ؟ " إذا كنت ذا أصل وأنا ذا أصل فعلى من سافئخر إذن...؟؟ " خالد

إبراهيم (عبد الله محمد الغدامي، القبيلة والمجتمع [و الناس طبقات]، 2007م).

أشار وليمز (2007م)، ص 135 إلى أن لكلمة (Family) تاريخ اجتماعي ذو أهمية خاصة، دخلت الإنجليزية في أواخر القرن الرابع عشر (ق 14)، تعني باللاتينية: أهل البيت: وهم مجموعة من الأشخاص تربطهم صلة الدم ويعيشون في منزل واحد " أما في أوائل القرن التاسع عشر (ق 19) ظهر مصطلح العائلة بدقة أكثر، وهو ما نوضحه مع تعريف (James Mill) الذي يقول: " المجموعة المكونة من أب وأم وأطفال تسمى عائلة " (المرجع السابق، ص 137).

فلا يمكن تحديد هوية الإنسان إلا من خلال العائلة التي ينشأ فيها " بوصفها العصبية الأولية والمرجعية المعاشية والوجدانية للإنسان " (عبد الله الغدامي، 2009م، ص 140) ألا يعتبر ابتكار الإنسان لهذا المصطلح، تموقع نفسه ضمن مجموعة يأمن إليها ويحتضن بها ؟ فهي إذن " خيار ذاتي في بعض وجوها إذ يختار المرء زوجته، وحجم عائلته الخاصة ومنزله، مثلما يجد بعض خيارات في الانتماء لشعب أو وطن " (المرجع السابق، ص 113).

بما أنّ كلّ فرد هو من نسل آدم وحواء بالضرورة، فإنّ كلّ ذات هي سلالة لأُمّ وأبّ أي لعائلة، لكن الاختلاف يكمن في الدّرجة القيّمية لكلّ عائلة والذي يمكن قياسه بمدى تماسكها الاجتماعي.

- ماذا نعني بالسكن / البيئة السكنية ؟:

تعتبر البيئة السّكنيّة المكان والحيز الذي ينشأ ويتعرّع فيه الفرد، فالسكن هو المأوى الذي يلجأ إليه الإنسان، لأنه مفطور على هذه السّمة منذ خلق، فاتخذ من الكهوف والمغارات ملجأ له، يقول جلّ وعلا: " **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** " – الآية 80 من سورة النحل- فمن نعم الله على عباده أن جعل لهم من البيوت سكنا لهم يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بمنافعها. ونجد لهذه الكلمة مرادفات أخرى أهمها: الدّار، البيت، الملجأ، المنزل و المأوى التي يقابلها باللّغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة على التوالي، فنقول: **Maison**، **Demeure** فيما يخصّ اللّغة الأولى، أمّا اللّغة الثّانيّة فنقول: **House**، وقد وردت هذه الكلمة في قاموس اللّغة الأمازيغيّة بمعنى: **Axxam** (أخام)، **Tamezduyt** (تمزذوغيث).

إنّ المسكن مكان يوفر الرّاحة لأفرادها ووظائف مهمة أخرى، فهو نمط تنظيمي لحياة النّاس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، إذ يعمل على خلق مساحة يوميّة للعديد من العلاقات الأسريّة، حيث يعيش الفرد علاقات حبّ وودّ اتجاه مسكنه ومن يشاركونه المسكن، بهذا يكون شبيها حيّا له خصوصيّة ومميزات هندسيّة تعزز ملامح الألفة بين أفراد الأسرة فيه (هالة لبرارة، 2007م، ص 07). لكن هل يكفي أن يكون لدى الطّفل حيز مكاني يحتضن فيه ويلجأ إليه لتستقيم شخصيّة ؟ علما أنّ لكل شيء في الوجود مكان بموقعه، فلتكوين شخصيّة الطّفل تكوينا صحيحا، لا بد من وجوده في بيئة سّكنيّة متحررة، بيئة تزرع فيه النّشاط وحبّ العمل والإبداع والحركة والتّخيل، واللّعب والتّجريب

وممارسة هواياته تقول (**Lita.Bane**) المسكن هو: " المكان الذي يقيم فيه أفراد تربط بينهم روابط حبّ وتعاطف، المكان الذي تنبع منه علاقة المحبة بين الأبوين وبين كلّ فرد في الأسرة، والتي يسعد بها الصّغار والكبار، وهو المكان الذي ينعم فيه الفرد بالرّاحة والخصوصيّة والذي يشعر فيه بالأمان، وهو المكان الذي يسعد فيه الفرد بممارسته لهواياته، وهو المكان الذي يحفظ فيه الفرد خزانة ماله، وهو المكان الذي يشعر فيه الفرد باحترام الآخرين، والوفاء والإخلاص، والأمانة، وأشياء أخرى يشعر ويتمتع بها الفرد، إنّه مصدر العطاء والوفاء ومكان لممارسة الهوايات والإبداع، وتضيف ليتا(سلوى محمد سعيد، 1986، ص 18/17) أنّه من المسلم به في وقتنا الرّاهن، أنّ حقّ السّكن هو أحد الحقوق الأساسيّة والمشروعة للإنسان، هذا الحقّ يتّسم بأهميّة خاصة في سائر بلاد العالم عامّة، وفي العالم العربيّ خاصّة، حيث اقتناء المسكن يشكّل إحدى القيم الاجتماعيّة، ويرمز إلى الهويّة الشخصيّة والأسريّة، وهو فوق كلّ ذلك دليل انتماء وكرامة الأسرة " (سلوى محمد سعيد، 1986م، ص 18/17).

فالمسكن حسب تحديد الباحثة ليتا، إلى جانب كونه مكان يحتمي فيه الإنسان، فهو كذلك فضاء لممارسة الإبداع؛ لكن هل يمكن اعتبار كلّ مسكن أو بالأحرى كلّ مبنى معماري يخضع لتصميم هندسي معين، بناء متكامل يخضع لمعايير مناسبة ؟ أم يكفي أن يتوفر لدى كلّ واحد منّا مكان يلجأ إليه ؟.

- ما مفهوم الطفل / **Enfant** ؟:

إنّ مصطلح الطفل يكتنفه الكثير من الغموض، وذلك لاختلاف المهتمين به من علماء الاجتماع وعلماء النفس... وغيرهم من الدارسين.

من الناحية اللغوية ورد في لسان العرب لابن منظور، " الطفل والطفلة: الصغيران، والطفل: الصغير من كل شيء والجمع أطفال، وقال أبو الهيثم: الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم، وفي حديث الاستسقاء: وقد شغلت أم الصبي عن الطفل، أي شغلت بنفسها عن ولدها بما هي فيه من الجذب، وقوله عز وجل: " ثم نخرجكم طفلاً" - الآية 5 من سورة الحج- قال الزجاج: طفلاً هنا في موضع أطفال، يدل على ذلك ذكر الجماعة، وكان معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً، قال تعالى: " أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء" - الآية 31 من سورة النور- والطفل: المولود، وولد كل وحشية أيضاً طفل و الطفلة: الحديثة السن والصغيرة. " (ابن منظور، ص 402/404) ونجد أنّ مصطلحي " الطفل و الصبي " مترادفان – تقريباً- جاء في لسان العرب، يقال: رأيته في صباه أي في صغره، والصبي من لدن يولد إلى أن يفطم " . يؤكد هذا التقارب بين مفهومي الطفل والصبي عند العرب ما جاء في القرآن الكريم حولهما، قال تعالى: " يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً " - الآية 12 من سورة مريم – وقال جلّ و علا في سورة مريم عن عيسى عليه السلام: " فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً" - الآية 29 من سورة مريم – (إبراهيم حور، 1993، ص 15)، أما من الناحية الاصطلاحية يحدده بلقاسم سويقات (2011) بقوله: " الطفل مخلوق بشري ضعيف له حقوق إنسانية أساسية، ينبغي أن تعمل هيئات المجتمع والدولة على حمايتها وضمان تمتع الطفل بها، فالأطفال من أكثر الجماعات البشرية تأثراً بانتهاكات حقوق الإنسان، هذه السمة تطلق عادة على كل إنسان في مراحل حياته الأولى".

ومرحلة الطفولة هذه منتهية لا محالة بدخول الإنسان في مرحلة جديدة تعقبها، ولما كانت جميع مراحل الإنسان متعاقبة ومتداخلة فإنه من الصعب تحديد وقت انتهاء مرحلة الطفولة بمدة زمنية أو سنّ معين " (بلخير إسماعيل، 2009م، ص 34). بما أنّ مصطلح الطفل دقيق ومتشعب، إذ يستحيل علينا أن نقف على تفصيلاته ارتأينا أن نحدد بعض التعريفات له انطلاقاً من هذا الجدول:

الشكل رقم 01: جدول مفاهيمي لمصطلح الطفل

مجال الدراسة	تحديد مفهوم الطفل / Enfant
الشريعة الإسلامية	تعنى الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالطفل يبدأ ذلك " قبل خروجه من بطن أمه في مرحلة تكوين الجنين وتنتهي بالبلوغ * " (مصطفى فهمي، 2007، ص 09) وهناك من قال أنّ الطفل هو كلّ من لم يبلغ بعد سنّ التكليف الشرعي المرتبط بسن البلوغ. أي أنها تبدأ من لحظة تكوين الجنين في

رحم أمه مصداقا لقوله تعالى: "ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا". <u>الآية 05 من سورة الحج</u>	
بعد توقيع الجزائر على اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989م، يتحدد هذا المفهوم في القانون الجزائري بذلك الإنسان الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة (نسرين إيناس، 2008م، ص20)	القانون الجزائري
جاء في اتفاقية حقوق الطفل * لسنة 1989م ما يلي: " لأغراض هذه الاتفاقية يعني الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة سنة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه "	الاتفاقيات الدولية
تبدأ مرحلة الطفولة عند هؤلا منذ وجود الجنين في رحم أمه، وتنتهي ببداية مرحلة البلوغ الجنسي.	علماء النفس
لقد اختلفوا في تحديد مفهوم الطفل، حيث يرى البعض أن الطفولة تبدأ من لحظة الميلاد إلى غاية مرحلة الرشد. بينما يرى البعض الآخر أن هذه المرحلة – أي مرحلة الطفولة – تبدأ من لحظة الميلاد حتى بلوغ الطفل 12 سنة، بينما يرى فريق ثالث أن هذه المرحلة تبدأ بالميلاد وتنتهي بسن البلوغ (سعيد حمودة، 2007م، ص18).	علماء الاجتماع
*الإنسان البالغ هو الذي تظهر عليه علامات البلوغ، وإن لم توجد هذه المظاهر فإن البلوغ يكون بالسّن، فنجد المالكية (ابن رشد) تحدد سن البلوغ بسن الثامنة عشر، أما الشافعية فتربطه بسن الخامسة عشر، أما ابن حزم صاحب المذهب الظاهري يحدّد سن البلوغ بتسعة عشر عاما. **اعتمدت اتفاقية حقوق الطفل، بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم:25/44، المؤرخ في: 1989/11/20م.	

المصدر: الباحثة 2014م

حتى وإن اختلفت هذه الدراسات في تحديد سن مرحلة الطفولة، فهي تتفق على أن الطفل هو ذلك الكائن البشري الذي يحتاج إلى الرعاية والعناية الدائمة، ذلك بتوفير جلّ المطالب الأساسية التي تسمح بإنماء قدراته العقلية والجسمية.

2- تقديم عينة الدراسة:

ينقسم اسم (تيزي وزو) إلى قسمين هما: تيزي وهي الهضبة بالأمازيغية، أما أززو: فهو نبات ذو أشواك وأزهار صفراء ينبت بالمنطقة بكثرة .

تقع هذه الولاية شرق الجزائر العاصمة، بحيث لا يبعد مقر الولاية عن العاصمة سوى بحوالي 105 كلم، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب ولاية البويرة ، أما من الشرق فتحدها ولاية بجاية ثم تليها من الغرب ولاية بومرداس <http://www.interieur.gov.dz>، كما هو موضح في الصورة رقم 1-

الشكل رقم 02: موقع ولاية تيزي وزو



المصدر: <http://maps.google.com>

تبلغ مساحتها 2957.93 كم²، أما عدد السكان فقد وصل – حسب إحصائيات 2008- إلى 1290575 (مديرية التجارة لولاية تيزي وزو). تنقسم الولاية إداريا إلى واحد وعشرين (21) دائرة و سبعة وستين (67) بلدية – ويمكن توضيح حدود العاصمة الولاية في الصورة رقم 2-

الشكل رقم 03: حدود عاصمة ولاية تيزي وزو



حدود عاصمة الولاية

المصدر السابق

تعتبر مدينة " تيزي وزو " من أهم المدن الجزائرية؛ يستقر فيها معظم القبائل الأمازيغ لذا فهي تدعى منطقة القبائل الكبرى إلى جانب بجاية التي تدعى القبائل الصغرى، تعدّ اللغة الأمازيغية اللغة الأم في المنطقة، يغلب الطابع الفلاحي و التجاري على نشاطها، علما أنّ مواطنيها - ذوي الأصول الأمازيغية - يحصلون على قوت عيشهم عن طريق الزروح الريفي نحو المدن وأغلبهم عن طريق الهجرة الخارجية؛ وذلك للظروف المعاشية الصعبة في المنطقة؛ نلمح في هندستها المعمارية دمج لنوعين من البناء: الأول وهو البناء الأوروبي والثاني هو البناء الأمازيغي، ونظرا لنسبة السكان المتزايدة في السنوات الأخيرة عملت الهيئات المختصة على ترقية المجال العمراني، ذلك بتشديد عدد من السكنات الجماعية الحضرية لامتناس آثار هذه الظاهرة؛ ورغم كلّ هذه الجهود المبذولة في سبيل تحقيق رفاهية الفرد ، تتولد لدينا مشاكل أخرى تحدّ من هذه الرفاهية وتعمل على الإخلال بالبيئة...

3- مكونات المسكن:

يعتبر المسكن العائلي المكان الذي يساهم في تنشئة الطفل، كونه الخلية الأولى لنموه وتشكيل شخصيته، فالطفل في مراحله الأولى من حياته يتأثر بالجوّ الأسري، فإذا كان لدينا فضاء مريح، سواء من حيث اتساع المكان أو من حيث توفير مجال للعب والاكتشاف والتجريب...نشأ لدينا طفل متزن نفسيا وجسميا، أما إذا تمّ حطم إحدى تلك القواعد- المذكورة سافا- تمّ الإخلال بنفسيته، ووأد طموحاته وأحلامه؛ فما هي البيئة السكنية التي تساعد على نمو سليم لهذه الفئة ؟.

إنّ المسكن في فضاءه الداخلي يتكون من غرف مختلفة، تتحدد عند عباس حيدر (1994م)، ص 68 في ثلاثة ركائز أساسية هي:

➤ **جزء النوم:** ويشمل حجرات النوم للوالدين والأولاد والضيوف.

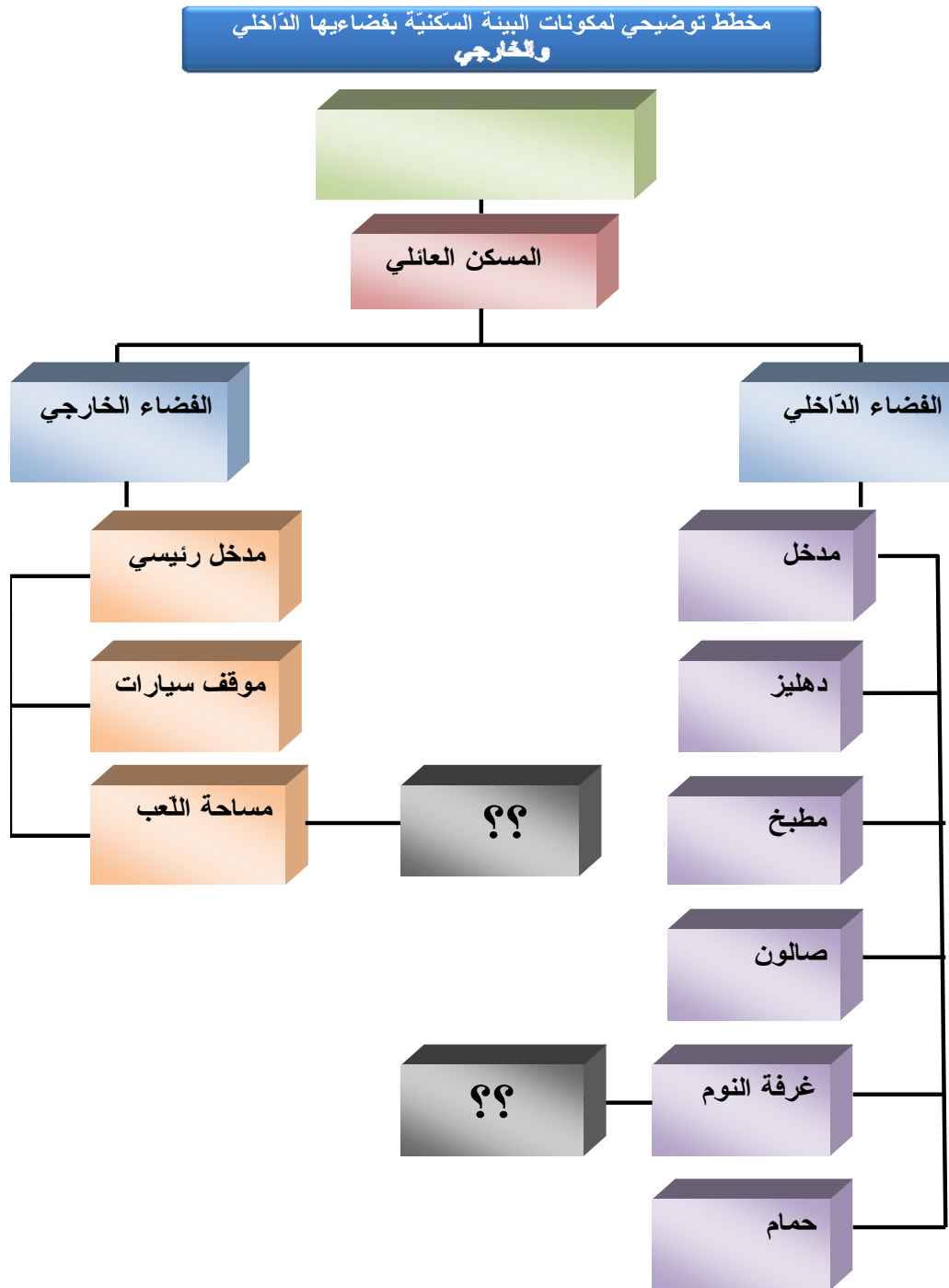
➤ **جزء الاستقبال:** ويشمل حجرات الصالون، والمعيشة والجلوس والطعام.

➤ **جزء الخدمة:** ويشمل حجرات المطبخ والحمامات والسلالم والممرات والمداخل .

لكن هذا لا ينطبق على كلّ المساكن، فهي تختلف وتتعدد من حيث تقسيماتها الداخلية و حجم المسكن، إذ نجد بعضها يتكون من غرفة واحدة بالنسبة للعائلة الكبيرة العدد و البعض الآخر يتكون من غرف عديدة لعائلة صغيرة، وهنا تكمن الإشكالية...

أما إذا عدنا إلى المجال الخارجي لهذه المساكن نجدها تتميز باختلافها وعدم تجانسها وذلك " من خلال مظهرها الخارجي، لا من حيث الشكل الهندسي، ولا من حيث مادة البناء المستعملة في تشييدها، كما أنّ هناك مساكن تقع في مجال مفتوح والبعض يقع ضمن مجال مغلق يشرف على منطقة خضراء...الخ "(وناسي،2008م، ص115) يمكن أن نوضح هذا التقسيم في المخطط التالي:

الشكل رقم 04: مكونات البيئة السكنية بفضاءيهما الداخلي والخارجي



المصدر: الباحثة 2014م

نحاول من خلال هذا المخطط تسليط الضوء على فضاءين مهمين وهما الفضاء المغلق والفضاء المفتوح ، حيث يتم التركيز في المجال الأول على الغرفة باعتبارها مكان للراحة والاكتشاف والتخيّل، أمّا في المجال الثاني فنولي الاهتمام لمساحات اللعب في الحيّ ودورها في تكوين الطفل. ننطلق في تحليلنا من المقولة المشهورة: " إذا وضعت قردا في قفص، فاعلم أنه سيتحول إلى خنزير، السبب لا يكمن في عدم ذكائه و حذاقته، وإنما في انعدام

الفضاء الذي يسمح له بإعمال قدراته " (أمين جوطي، 2012م، ص01). توضح هذه المقولة العلاقة بين الكائن والحيز المكاني والإمكانات المتاحة له في هذا المجال، وهذا ما ينطبق على الطفل الذي ينشأ في مدينة (بيئة سكنية) تنعدم فيها المساحة الكافية للحركة، و الفضاءات والمرافق التي تسمح له بتفجير الطاقات والقدرات الكامنة فيه، فنكون بذلك مارسنا عليه ضغوطات تتسبب في إفقار شخصيته وسلبه الظروف المواتية لإغنائها. يولد الطفل في بيئة سكنية تشكل مسرحا جاهزا، تعطيه مجالا للحركة تحددها أو تحد منها، تمنحه انتماء أو ترمي به إلى الهامش ليعاني من الإقصاء، تولّد فيه حسا اجتماعيا وتوفّر له أمنا نفسيا أو ترمي به في بؤرة الاغتراب...من هنا ينبثق سؤال عريض هو: كيف يتسنى لتفكير الطفل أن يزدهر و لشخصيته أن تنمو داخل بيئة سكنية تنعدم فيها الفضاءات الأساسية للعمل التربوي والثقافي والرياضي ؟ (المرجع السابق) إذ أنّ تشكل العمران وهندسة المكان يؤثران بشدة في تشكيل الفعل اليومي للأفراد، ويفرضان عليهم إيقاعا معيناً يصبح مع توالي الأيام وبفعل التكرار الإجباري، منبعاً لسلطة العادة التي تهينا إحساسا وهميا بالألفة، هذا كله يؤثر على الطفل في المراحل الأولى من تكوّن شخصيته، بحيث تؤدي رداءة المنظر العام لوجهات المباني والشوارع والحدائق...إلى تأثيرات سلبية على نفسيّة الطفل في حدّ ذاته من قلق، وأمراض نفسية، توترات و ضغوطات نفسية نتيجة الضغط الأسري...

4- واقع المسكن العائلي في الجزائر و انعكاساته على الطفل:

من القضايا التي تؤرق المجتمع الجزائري كغيرها من المجتمعات نجد مشكل " أزمة السكن " التي تشمل مختلف المناطق بما فيها منطقة القبائل الكبرى " تيزي وزو " و لم يعد مستغرباً أن نرى مواطنين يعيشون مع زوجاتهم وأبنائهم في غرفة واحدة، هذا ما يفتح باب للعديد من الأسئلة، كيف يمكن لكل فرد من هذه العائلة ممارسة حياته الطبيعية في ظلّ هذا الوضع ؟ كيف يكون تأثيره على تنشئة شخصية الطفل ؟.

أ- الغرفة من مكان للراحة..... إلى مكان للضغط:

إنّ وجود أو – إن صحّ التعبير – تعليل العائلة في غرفة واحدة يؤثر في الاستقرار النفسي و السيكولوجي للطفل وهذا ما يؤكدّه الشيخ (حماد بن حمد المرواني) - في مقال صحفي في جريدة المدينة السعودية العدد 16381-أنّ " ضيق السكن له انعكاسات خطيرة على الطفل وسلوكه وتعاملاته الاجتماعية وقد تؤدي إلى إصابته بعقدة نفسيّة اتجاه الزواج أو أن يكون ضعيف الشّخصيّة أو عدوانياً " كلّ هذه المشاكل يتسبب في صنعها السكن الضيق الذي لا يؤدي واجبه على أكمل وجه، يضيف الدكتور (عبد الرزاق الزهراني)¹ في مقولته المشهورة " نحن نبني مساكننا...تأتي مساكننا فتبنيها " أي أننا نبني المسكن لنسكن فيه و نفرض عليه لمساتنا وشخصيتنا لكن ينتقل الدور فيما بعد ليقوم المسكن ببنائنا وتكويننا كما يشاء هو لا كما نشاء نحن فتعكس فينا و

¹ الدكتور عبد الرزاق الزهراني أستاذ في علم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود و رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية لعلم الاجتماع و الخدمة الاجتماعية، تحصل على دكتوراه في علم اجتماع التنمية من جامعة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1406 هـ ، له العديد من المؤلفات من بينها: جرائم العصابات-

دراسة ميدانية على المحكوم عليهم في سجون مدينة الرياض- بالإضافة إلى ديوانين شعريين هما: الوادي المهجور، والضامير الغائبة.

تظهر في تصرفاتنا معالم حيّزنا المكاني في صوره الداخليّة والخارجيّة، ويكون الطفل أكثر عرضة لتلك النتائج السلبيّة، فيتكون لدينا طفل عدواني، معقد نفسيًا، انطوائي (أو ما يسمى عند علماء النفس بمرض التّوحد)²، هذا كله نتيجة عدم تناسب المسكن مع حجم الأسرة، فالسكن يلعب دورا أساسيا في تكوين سلوك الطفل إمّا أن يكون سويًا أو منحرفا فصلاح المجتمع مرتبط بصلاحياته. يبقى إذن توفير المسكن المناسب من الركائز الأساسيّة لأمن المجتمع ولا يعني توفير المسكن توفير مأوى للإنسان فقط لكنه يشمل أيضا توفير الخصوصية والأمن ومنشآت الخدمات العامة وشبكات البنية الأساسيّة (...) من مرافق وتوفير الفراغات العمرانيّة والمناطق الخضراء ومساحات اللعب... ويمكن تلخيص كلّ ما قلناه في الجدول التالي:

الشكل رقم 05: جدول يوضّح المسكن الملائم لرفاهيّة الطفل

المسكن (Maison)		البنية الداخليّة للمسكن				البنية الخارجيّة للمسكن			النتائج المتوصّل إليها
مكوّنات المسكن	مطبخ	صالون	دهليز	جماعيّة	غرفة نوم	حمام	مدخل رئيسي	موقف سيارات	مساحة اللعب
	-	-	-	+	-	-	-	-	-
	+	+	+	+	+	+	+	+	+
	(موجب) يصلح لتكوين سليم للطفّل								
	(سالب) لا يصلح لتكوين سليم للطفّل								

المصدر: الباحثة 2014م

ب- مساحات اللعب التابعة للفضاءات الخارجيّة للأحياء الجماعيّة بتيّزي وزو بين التّغيب والحضور:

أمّا إذا عدنا إلى الفضاء الخارجي لبناء السكن نجده يتمظهر أكثر في مساحات اللعب التي تلحظ تغيبا من الجهات المختصة، فازدادت الصّرخات حولها وإن وجدت تحولت إلى مساحات للبيع والشراء، ومكان للنفايات... فبالرغم من أنّ السكن الجماعي يعرف تهيئة خاصة بخصوص مساحات اللعب، وبالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبه في التقليل من حدة أزمة السكن، لكنه ظلّ يعاني من مشاكل على مستوى هندسته المعماريّة خاصة ما يمسّ مساحات اللعب الخاصة بفئة الأطفال، إذ يكتفي الأفراد – باعتقادهم – أن يمتلكوا مسكنا يأويهم وإن كثرت احتجاجاتهم فهي لا تتجاوز أن تكون نمطيّة أي طلب إنجاز شبكات صرف المياه، الكهرباء وغيرها من المطالب

² التّوحد مرض يصيب الأطفال بكثرة ويعني لغة: العزلة أو الانعزال بمعنى عدم الاندماج مع الآخر أيّا كانت صفته الوالدين، الأقارب، الأصدقاء... أمّا اصطلاحا: مرض يظهر عند الأطفال الذين تقارب أعمارهم الثلاثة سنوات تنتج عن اضطراب في الجهاز العصبي.

التي يرونها ضرورية للحياة متجاهلين بذلك " مساحات الأطفال " إذ لا تعدّ - عندهم - سوى مطلب ثانوي لا يمكن تحقيقه إلا بعد أن يتم توفير ما هو أهم منه، متناسين الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المساحات في تنشئة أطفالهم وتكوين اتزانهم الجسمي والعقلي والنفسي...و يمكن أن نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ما تبينه الصّور (1.6، 2.6، 3.6، 4.6)

الشكل رقم 06: ب - 1: تغييب مساحات اللعب و انعكاساته على الأطفال



الصّورة (2.6)



الصّورة (1.6)

المصدر: <http://hbmdbk.jimdo.com/draa.ben.khedda>



الصّورة (3.6)

مصدر الصّور (2.6) و(3.6): الشروق TV

نلاحظ في الصّورة (1.6) عدم تخصيص المساحة اللازمة لتهيئة مساحات اللعب، بحيث تفتقد معظم الأحياء للتهيئات الخاصة بهذه المساحات. أمّا في الصّورتين (2.6) و (3.6) نلاحظ الوضعيّة المزريّة التي يعاني منها هؤلاء الأطفال، حيث اضطروا إلى استغلال مساحات غير مخصوصة للعب فوجدوا أنفسهم يحققون حقهم المشروط على مساحات أقل ما يميزها هو الأرضيّة الموحلة في فصل الشتاء والغبار المتطاير في فصل الصيف.

الشكل رقم 06 ب – 1-1: استغلال المجال الخارجي لمساحات اللعب لأغراض شخصية:



الصورة (5.6)



الصورة (4.6)

المصدر: المرجع السابق

عندما يغيب الوازع الاجتماعي و تطغى الذاتية تتحول مساحات اللعب إلى ممتلكات شخصية.

الشكل رقم 06 ب – 1-2: مساحات اللعب من مكان للترفيه.....إلى مكان لرمي النفايات:



الصورة (6.6)

المصدر: الشروق TV

إلى جانب انعدام وغياب مساحات ومرافق اللعب عند أطفال تيزي وزو، تحوّل هذا الفضاء الترفيهي – على حدّ قولهم- إلى مفرغة عمومية تتكدّس فيها كميات معتبرة من النفايات يوميا و التي تعدّ (النفايات) جزءا من الألعاب المفضّلة عند هذه الفئة.

الشكل رقم 6 ب - 2: مساحات اللعب بين حضور و انعدام للتهيئة :

غياب التهيئة اللازمة في مساحات صارت تهدد حياة الأطفال و ذلك لانعدام أرضية اللعب (أرضية ترابية)، أرضية تتوسطها حفر إلى جانب عناصر خطيرة أخرى كبقايا أسلاك كهربائية كما هو موضّح في الصّور:



الصّورة (8.6)



الصّورة (7.6)



الصّورة (10.6)



الصّورة (9.6)



الصّورة (11.6)

مصدر الصّور (9.6 ، 10.6 ، 11.6) : الباحثة 2014م

إنّ توفر بعض المناطق على المساحات المخصّصة للعب لا يعني تحقيق اكتفائها الترفيهي، فلا يكفي تثبيت الألعاب على الأرض لسنوات دون مراجعة لمحاولة صيانتها مرة أخرى، لكن – للأسف- هذا ما بيّنه واقعنا الاجتماعي إذ نلاحظ الوضعية المزريّة التي آلت إليها مساحات لعب همشت وأهملت من طرف الهيئات المختصة و سكان الحيّ بالخصوص الذين جعلوا من أعمدة هذه الألعاب سندات خاصة لصحون الساتيليت (Satellite)؛ ألعاب مهترئة لم يبق منها سوى هياكلها و الجزء المثبت على الخرسانة.

ج - دور مساحات اللعب في تكوين الطفل:

إنّ تجاهل الأفراد لدور هذه المساحات على شخصية الطفل و تشكيل قيمه و سلوكه تشكيلا سليما، يوحى بنقص التوعية لديهم بأهمية اللعب في حياة أبنائهم، فماذا نقصد باللعب وما الدور الذي تلعبه وتحققه هذه الفراغات المخصّصة لهذه الفئة من رفاهيّة و تنفيس ؟. ورد في لسان العرب لابن منظور: اللعب (Jeu) ضد الجدّ ويقال لكلّ من عمل عملا لا يجدي عليه نفعاً : إنما أنت لاعب، وقال الأزهري: رجل تلعب إذا كان يتلعب وكان كثير اللعب، وفي حديث علي رضي الله عنه: زعم ابن النابغة أنّي تلعب، و في حديث آخر: أنّ عليا كان تلعب أي كثير المزح والمداعبة، والناء زائدة. (ابن منظور، 1993) هذا من الناحية اللغوية، أمّا إذا جننا إلى تحديده اصطلاحا لقلنا حسب تحديد (شابلي، 1970) في قاموس علم النفس: "اللعب نشاط يمارسه الناس أفرادا أو جماعات بقصد الاستمتاع ودون أي دافع آخر". ويعرفه فاضل حنا، (1999م)، ص19 بقوله: "حركة أو سلسلة من الحركات يقصد بها التسلية (...). فهو خلو من كلّ اضطراب لأنه لا يقصد إلّا للنشاط ولا يرجى منه إلّا الاستمتاع". يبقى اللعب إذن إحدى المتطلبات الأساسية للطفل مثل الأكل و النوم.

ج- 1: دور وأهمية اللعب في نمو الطفل:

تقف بعض العائلات حاجزا أمام سعادة أبنائهم و تكوين شخصيتهم، إذ يرون في اللعب مضيق و هدر للوقت متجاهلين بذلك الفوائد التي يعود بها على أولادهم، فباللعب يبني الطفل نفسه و يقومها و يكون اتزانه العقلي والجسمي و الاجتماعي، وقد عرف علماء الإسلام أهمية اللعب فقال الإمام الغزالي (محمد سعيد مرسى، 1998، ص171): "وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب (كتاب تحفيظ القرآن) أن يلعب لعبا جميلا يستفرغ إليه تعب الكتاب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي (الطفل) من اللعب و إرهاقه بالتعليم دائما، يميّت القلب و يبطل ذكاه و ينغص العيش عليه ". فانغماس الطفل في اللعب يطرده من كلّ النواحي، سنوضحه فيما يلي:

ج- 1-1: من الناحية الجسميّة: يعتبر اللعب نشاط ضروري لنمو العضلات، هذا ما يؤكده (حنا فاضل، المرجع السابق، ص 27) في أنّ "اللعب الحركي النشط ضروري لنمو عضلات الطفل عن طريق النشاط الحركي سواء عند تناوله ووضعها بعضها فوق بعض أو بعضها بعض أو فتحها أو غير ذلك من المهارات الحركية المتعددة وكلما ازداد استخدام الطفل لأعضائه المختلفة وروض جسمه كلما قوي عوده ونمت عضلاته".

ج- 1-2 : من الناحية التربوية: يفتح اللعب المجال واسعا للاكتشاف والتعلم، وذلك من خلال الأدوات التي يستخدمها ك معرفته للأشكال و الرسومات والألوان و الأحجام، إذ به يدرك بيئته وحيزه و الأكثر من ذلك يدرك ذاته.

ج- 1-3 : من الناحية الاجتماعية: اللعب مع الآخرين يزرع لدى الطفل حبّ عقد علاقات جماعية من حبّ الغير و حبّ التواصل معه ، فيبعد عنه الأنانية وحبّ الذات.

ج- 1-4: من الناحية الخلقية: يعمل اللعب على تكوين شخصية الطفل و ضبط معايير السلوك الخلقية لديه، إذ يتعلم من خلاله كيفية احترام الآخر أيا كانت صفته، و يربي فيه صفة أداء الأمانة لأهلها و مساعدة الغير عند الحاجة...

ج- 2: البيئة و دورها في التأثير على لعب الطفل:

تعدّ البيئة المحيطة بالطفل أكبر معيق للعبه و يمكن اختصارها في ثلاثة مجالات رئيسية:

ج- 1-2: البيئة المكانية: إنّ للمكان دورا فعّالا في التأثير على نفسية الطفل، إذ يتحدد في مراحله الأولى في الفضاء الداخلي للمسكن، أما في مراحل أخرى فيتحدد في الفضاء الخارجي له و الذي يتجلى في الفراغات الخارجية المحيطة بالمسكن من مساحات اللعب، الشوارع... " لذلك يكون للبيئة التي يعيشون فيها تأثيرا واضحا في الطريقة التي يلعبون بها و في نوعية الألعاب أيضا، و إذا لم تنتهيا لهم أماكن ملائمة و قريبة من منازلهم للعب أو إذا لم تتوفر مواد اللعب المستخدمة في لعبهم فإنهم ينفقون وقتهم في التسكع أو يصبحون مصدرا للإزعاج " (بلخير إسماعيل، 2009، ص54).

ج- 2-2: البيئة الاجتماعية: يكتسب الطفل قيمه و أسسه الأخلاقية من خلال القيم السائدة في مجتمعه، و نلمح هذا الانعكاس بصورة واضحة على اللعب الذي يتأثر بثقافة المجتمع و ما يسوده من عادات وتقاليده.

ج- 2-3: البيئة الاقتصادية: يلعب المستوى الاقتصادي والحالة الاجتماعية للعائلة دورا كبيرا في توفير متطلبات الطفل، إذ نجد الطفل الذي ينتمي إلى عائلة غنية يتوفر على مساحات واسعة للعب و أكبر قدر ممكن من الألعاب تختلف من حيث الأشكال والألوان والخصوصية، على عكس الطفل الذي ينتمي إلى عائلة فقيرة فلا تخلو ألعابه أن تكون وسائل بسيطة كأن يصنع كرة من أكياس بلاستيكية... إضافة إلى انعدام مساحات اللعب هذا ما يؤثر سلبا على شخصيته.

د- دور البيئة السكنية في إعداد الطفل :

تعتبر البيئة السكنية المأوى الأول الذي يحتضن الطفل، إذ فيه تتكون شخصيته و تتبلور و تنمو نموا سليما، فيسمح له هذا المجال بإعدادة نفسيا وذلك من خلال تنمية المشاعر الإيجابية فيه، وتأسيس حبّ الاعتماد على الذات وإدراكها. أما عقليا فتساهم البيئة السكنية في غرس ثقافة الاستطلاع والرغبة في الاكتشاف والتجريب، والتعلم

...وتنشط الذاكرة من خلال سعة التخيل والتذكر والتفكير، و في الجانب الجسمي فإنها تعمل على توفير أنشطة تساهم في نمو عضلاته هذا كله من خلال توفير أرضية سليمة، فعندما تتوفر للطفل الشروط السابقة الذكر نكون بذلك ساعدناه على بناء شخصيته وتحديد معالمها.

خلاصة:

إن البيئة السكنية تمثل الوعاء الذي يحتضن الطفل في المراحل الأولى من حياته، و رغم التحسن الذي شهده السكن في الجزائر في السنوات الأخيرة، هذا لا يمنع من وجود خلل في تهيئته سواء في فضاءه المغلق (الداخلي) أو في فضاءه المفتوح (الخارجي)، ما جعله لا يتوافق بل ولا يتطابق مع متطلبات الطفل المختلفة، فتظهر ملامحه السلبية عليه خاصة الأمراض الاجتماعية المختلفة (كالنوح، العزلة، الانطواء على الذات، الغضب...) هذا كله نتيجة بيئة سكنية تغيب المتعة والراحة وتكرس الملل و عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي؛ وبما أن الطفل في علاقة تفاعلية دائمة مع بيئته السكنية فلا بد من توفير حيّز مكاني بتصميم هندسي معماري يتناسب مع خصوصياته من خلال معايير بنائية وجمالية تمنحه الاستقرار والراحة.

المراجع

- [1] أمين، جوتي (2009)، " الطفل والمدينة"، نشر بتاريخ: 7 أوت 2012م على الرابط: <http://www.tanmia.ma/fr/thematiques/developpement-durable>.
- [2] ابن منظور، (1990م)، لسان العرب، الجزء 11 و 14، ط 1، دار صادر، بيروت.
- [3] بلخير إسماعيل، (2009م)، مساحات اللعب داخل المجالات الخارجية التابعة للأحياء السكنية ومدى توافقها مع احتياجات فئة الأطفال – دراسة حالة مدينة المسيلة – مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر.
- [4] بن عصمان نسرین إيناس، (2008م)، مصلحة الطفل في قانون الأسرة الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
- [5] خالد مصطفى فهمي. (2007 م)، حقوق الطفل و معاملته الجنائية في ضوء الاتفاقيات الدولية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
- [6] ريموند وليمز، (2007م)، الكلمات المفاتيح - معجم ثقافي و مجتمعي – تر: نعيمان عثمان، المركز الثقافي العربي، المغرب.
- [7] د.سلوى محمد سعيد، (1986)، الإسكان، المسكن و البيئة، دار الشروق، جدة.
- [8] سهام وناسي، (2008 م)، النمو الحضري و مشكلة السكن و الإسكان – دراسة ميدانية بمدينة باتنة حي 1020 مسكن – مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
- [9] عبد الله الغدامي، (2009م)، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب.

- [10] عبد الله محمد الغدامي، القبيلة والمجتمع (والناس طبقات)، نشر بتاريخ: 31 ماي 2007م على ى الرابط: <http://www.alriyadh.com/2007/05/31/article253526.print>
- [11] فاروق عباس حيدر، (1994م)، تخطيط المدن و القرى، ط1، دون دار النشر.
- [12] د. فاضل حنا، (1999م)، اللعب عند الأطفال، ط1، دار مشرق- مغرب، سوريا- دمشق.
- [13] الدكتور محمد إبراهيم حور، (1993م)، الطفل و التراث – مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم- ط1، دار الثقافة والإعلام.
- [14] محمد سعيد مرسي، (1998م)، فن تربية الأولاد في الإسلام، ط 1، دار التوزيع والنشر.
- [15] منتصر سعيد حمودة، (2007م)، حماية الطفل في القانون الدولي العام و الإسلامي، د ط، دار الجامعة الجديدة.
- [16] هالة لبرارة، (2007م)، الأسرة والمسكن بالمدينة الصحراوية – دراسة ميدانية مقارنة بين مسكن حديث و مسكن تقليدي بالزاوية العابدية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة.